مقال تحليلي

قراءة في العقيدة البحرية الروسية الجديدة

داليا يسري

باحث أول - بالمركز المصري للفكر والدراسات الاستراتيجية

بمجرد أن شنت روسيا حملتها العسكرية على أوكرانيا في أواخر فبراير الماضي، بدأت عناوين الصحافة العالمية تتساءل عن حدود العالم الروسي من وجهات نظر الرئيس "فلاديمير بوتين". وذهبت آراء البعض إلى أنها تشتمل على دول حوض البلطيق، فيما رأى آخرون أنها تقتصر على كل الدول التي سبق وجمعها تاريخ مشترك مع الاتحاد الروسي مثل أوكرانيا. وذهب فصيل ثالث بالرأي الذي يفيد بأن حدود العالم الروسي تقف عند الدول التي تجمعها عناصر محددة مع موسكو، مثل؛ "وحدة اللغة، الوحدة العرقية، والتاريخ المشترك...."

وبتاريخ 31 يوليو، وقع "بوتين" على ميثاقي؛ حول إقرار العقيدة البحرية الروسية الجديدة، وميثاق الأسطول العسكري الروسي. وأعلن أمام العالم أجمع أن هذه الوثيقة هي التعريف العلني للحدود الروسية الجديدة. ووفقًا له، "لقد حددنا بشكل علني حدود ومناطق المصالح الوطنية لروسيا؛ الاقتصادية والاستراتيجية الحيوية. أولاً وقبل أي شيء، هذه هي مياهنا في القطب الشمالي، ومياه البحر الأسود، وبحر أوخستوك وبرينج ومضيق البلطيق وكوريل". مضيفًا، "سنضمن حمايتهم بحزم وبكل الوسائل". مما يأخذنا إلى ضرورة الخوض بالقراءة والتحليل للوثيقة البحرية الجديدة بحثًا عن رؤية أوضح للإطار المستقبلي الحاكم للتحركات البحرية الروسية وانعكاساتها على الساحة الدولية، وطبيعة الحدود التي تقول موسكو أنها تحدثت عنها علانية.

ECSS
المركز المصري للفكر والدراسات الاستراتيجية
EGYPTIAN CENTER FOR STRATEGIC STUDIES

يسعى "المركز المصري للفكر والدراسات الاستراتيجية" إلى تقديم الرؤى والبدائل المختلفة بشأن القضايا والتحولات الاستراتيجية، على الصعيد المحلي والإقليمي والدولي على حد سواء. ويولي اهتمامًا خاصًا بالقضايا والتحولات ذات الأهمية للأمن القومي والمصالح المصرية.

المركز المصري للفكر والدراسات الاستراتيجية

ecss.com.eg

/ecsstudies

نظرة على الظروف المحيطة بالوثيقة وفاعليات إطلاقها

ليس من الممكن النظر إلى هذه الوثيقة بعين الفاحص من دون إيلاء الانتباه لعدة عوامل؛

- **أولاً:** أعلنت السلطات الروسية، بتاريخ 31 أغسطس، عن وقوع انفجارات في مقر أسطول البحر الأسود الواقع بمدينة سيفاستوبول الروسية، بشبه جزيرة القرم. ووفقًا للرواية الروسية، فإن الهجوم لم يُخلف ورائه سوى جرحى فقط. بينما وصفت الاستخبارات البريطانية الهجوم نفسه، من ناحية أخرى، بأنه "نكسة أخرى لأسطول البحر الأسود خلال الحرب، توازي خسارته للطراد موسكفا". ويذكر في هذا السياق، أن السلطات الروسية أعلنت إلغاء جميع فاعليات احتفالات يوم البحرية الروسية في شبه جزيرة القرم بسبب الانفجارات.
- **ثانيًا:** ليس ثمة شك بأن هذه الوثيقة ترتبط بالأحداث العالمية الجارية، وتُمثل الإطار الحاكم للتحركات الروسية خلال النطاق الزمني المستقبلي البعيد قبل القريب.
- **ثالثًا:** يوجد هناك اختلاف شاسع بينها وبين سابقتها التي صدرت في 2015؛ والتي كانت تتمركز حول أربع أبعاد وظيفية فقط، تتمثل في "تعزيز نشاط النقل البحري، والكشف عن الموارد الطبيعية في البحر المفتوح، وتكثيف البحوث العلمية البحرية، والاهتمام بالنشاط العسكري البحري". فيما تنقل الوثيقة الحالية روسيا من مرحلة التطور السلمي المحفوف بتحركات عسكرية حذرة إلى مرحلة النشاط العسكري البحري المستمر الذي يكاد يكون من الأقرب وصفه بأنه "نشاط هجومي دائم"، وسلاح دائما ستجد روسيا مبررًا لرفعه إذا لزم الأمر.
- **رابعًا:** تعكس الأجواء الاحتفالية التي تم فيها الإعلان عن ظهور الوثيقة الجديدة، رغبة "بوتين" في الظهور في شكل المنتصر الفعلي للحرب. وتعكس كذلك، أن موسكو تبعث رسائل للعالم مفادها أن تشكيل النظام العالمي الجديد متعدد الأقطاب صار فعلاً ماضيًا، وأنها الآن تقوم بإعادة تعديل أوضاعها وفقًا لدورها الجديد كقوة عظمى وليس مجرد قوة إقليمية فاعلة.
- **خامسًا:** الأجواء الاحتفالية ليوم البحرية الروسية، والتي ووفقًا لما نقلته الصحافة الروسية، اشتملت على مشاركة من عدد أفراد عسكريين وصل إلى 10 آلاف مشارك. وهو عدد ضخم للغاية ويعد في توقيت حرج تمر به روسيا، ويأتي كذلك في غضون تأكيدات أغلب أجهزة الاستخبارات الغربية بأن روسيا تعاني من نقص هائل في صفوف جيشها. ترتب عليه أن اضطرت لتخفيض متطلبات وكفاءة المنضمين إلى صفوف "فاجنر"،

وتأسيس تشكيلات من متطوعين في الأعمال القتالية -بأجر مجزي- من جهة أخرى. بشكل يعكس رغبة "بوتين" في نفي التقارير الغربية والتأكيد على أن جيشه لا يعاني من أي مشكلات في القوة العددية. ويشار أيضًا إلى أن الصور المرفقة والمعلنة مع الاحتفالية، جنبًا إلى جنب مع الزوايا التي تم منها التقاط الصور، لا توحي بالوجود الفعلي لهذا العدد الهائل من العناصر العسكرية. كما يُلاحظ وفقًا للصور ذاتها، أن الجنود في الصور يوجد عدد كبير من بينهم لم يتجاوز العشرون من عمره بعد. بشكل يعكس أن تجنيد عدد ليس هين منهم ربما يكون قد تم في الماضي القريب.

- **سادسًا:** تعكس الأجواء الاحتفالية التي تم فيها الإعلان عن ظهور الوثيقة الجديدة، رغبة "بوتين" في الظهور في شكل المنتصر الفعلي للحرب. رُغم أن الحرب لازالت جارية ولم تنتهي فعليًا لصالح طرف دون الآخر. وربما يكون النصر محسوم لروسيا أو لا. لكن على كل حال، فإن "بوتين" يتصرف بصفته المنتصر حتى يُقنع الجميع بأنه بالفعل انتصر ويهزم الكتلة الغربية معنويًا.

الملامح العامة للوثيقة

تتألف الوثيقة من 56 صفحة تشمل الغلاف، وتنقسم إلى 106 بنود يتم توزيعهم تحت 31 عنوان فرعي. وبالنظر إلى أبرز ما نصت عليه الوثيقة، فإنه يتم توزيعه كالتالي؛

- شرحت الوثيقة مفهوم المحيطات العالمية بالنسبة لدولة الاتحاد الروسي ودول العالم بشكل غير محدد. ففي البند السادس، نص على أن هذا المفهوم "سيزداد بشكل مطرد بما يتناسب مع قاعدة الموارد الطبيعية التي تضمن التنمية الاقتصادية للدول، وتأثير الأنشطة الاقتصادية وغيرها من الأنشطة البشرية على البيئة، وذوبان الجليد في القطب الشمالي، وهجرة السكان، وغيرها من العمليات". بمعنى، أنه لا توجد حدود محددة وصريحة لمفهوم المحيطات العالمية بالنسبة لروسيا، بل إنها ستكون فضفاضة وتتمدد وتنكمش وفقًا لمتطلبات الحاجة والمصالح الروسية. وهو ما تعود الوثيقة لتؤكد عليه مرة أخرى في البند التالي؛ السابع: والذي ينص على أن "اتجاهات تطور الأنشطة البحرية للاتحاد الروسية تتحدد وفقًا للمصالح الوطنية لدولة الاتحاد الروسي في المحيطات العالمية وأهمية الحفاظ عليها والدفاع عنها". ثم تنتقل الوثيقة بعد ذلك في البند العاشر، وتنص على أن الدفاع عن مناطق المصالح الروسية في المحيطات تعتبر واحدة من أقصى أولويات الدولة.

- تُشير الوثيقة في البنود **"الثاني عشر والثالث عشر"**، إلى تقسيم مناطق المصالح الروسية في المحيطات العالمية إلى ثلاثة أنواع؛ حيوية، وهامة، وأخرى. وضمت المجموعة الأولى: الحيوية، مناطق تتعلق مباشرة بتنمية الدولة، وحماية سيادتها، وسلامتها الإقليمية، وتعزيز قدراتها الدفاعية. وهذه المناطق تؤثر بشكل حاسم على التنمية الاجتماعية والاقتصادية للبلاد. وتشتمل هذه المياه على المساحات البحرية الداخلية لروسيا، وبحارها الإقليمية، والمنطقة الاقتصادية الخالصة للبلاد، وجرفها القاري، وحوض القطب الشمالي، بما في ذلك المنطقة المائية لطريق البحر الشمالي، ونطاق روسيا في بحر أوخوتسوك، والقطاع الروسي من بحر قزوين. وضمت المجموعة الثانية: الهامة، المناطق المائية التي تؤثر بشكل كبير على التنمية الاقتصادية والرفاهية المادية للسكان، والأمن القومي الروسي، فضلاً عن الحفاظ على الأمن الاستراتيجي والإقليمي للدولة. وتنص الوثيقة على أن هذه المناطق هي المناطق المائية المتاخمة لسواحل الاتحاد الروسي، بما في ذلك بحر آزوف والبحر الأسود والجزء الشرقي من البحر الأبيض المتوسط، والبحر الأسود، ومضيق البلطيق وجزر الكوريل، ومناطق المعابر التي تلعب دورًا في حركة النقل العالمية. وينص البند الأخير على أن؛ "فقدان السيطرة عليها -هذه المناطق- من الممكن أن يعرض الأمن القومي للاتحاد الروسي ووجود الدولة نفسه للخطر".

- تربط الوثيقة بين السياسة الروسية ووضعها الجيوسياسي ودورها في السياسة العالمية. حيث يشير **البند التاسع عشر**، إلى أن تطور دولة الاتحاد الروسي في العالم المعاصر يجري على خلفية التحديات والتهديدات الجديدة لأمنها الوطني. وكلمة تطور هنا تُفسر بـ "نمو الحدود" الروسية، وفقًا لمتغيرات الموقف.

- تطرقت الوثيقة إلى مخاطر سياسة الولايات المتحدة وحلف الناتو وتأثيراتها عليها. ونصت في البند العشرين، على أن سعي الاتحاد الروسي لتحقيق سياسة

داخلية وخارجية مستقلة يثير معارضة من الولايات المتحدة وحلفائها، اللذين يسعون للحفاظ على هيمنتهم في العالم بما في ذلك محيطات العالم. واعتبرت الوثيقة أن السياسة التي يطبقونها لاحتواء الاتحاد الروسي تنطوي على ضغوط سياسية واقتصادية وعسكرية ومعلوماتية عليه.

- تتابع الوثيقة وتشرح الطريقة التي تنظر بها الدولة الروسية للتهديدات الأمريكية والغربية لنفوذها بالتفصيل في البند الثاني والعشرين؛ حيث تشير إلى المسار الأمريكي نحو تحقيق الهيمنة في المحيطات ونمو أنشطة الناتو بصفته تهديد رئيسي. وتشير الوثيقة كذلك إلى تهديدات أخرى مثل تقدم البنية التحتية العسكرية لحلف الناتو بالقرب من الحدود الروسية. وزيادة مناورات الحلف في مياه البحار المتاخمة للأراضي الروسية. كما تعتبر رغبة الولايات المتحدة وحلفاؤها في تقييد وصول روسيا إلى موارد ومحيطات العالم وإعاقة اتصالات النقل البحري الحيوية الخاصة بروسيا، ورغبة الولايات المتحدة في تحقيق تفوق ساحق لقدراتها البحرية بها باعتبارهما تهديدات.

- ينطوي **البند الثالث والعشرين** على المخاطر والتهديدات التي تواجه دولة الاتحاد الروسي، ويندرج من ضمن هذه المخاطر؛ "أن تقوم عددًا من الدول بإدراج قيود على شركات بناء السفن العسكرية الروسية، وشركات النفط والغاز الروسي، بما في ذلك القيود التي ترتبط بنقل التقنيات الحديثة وتوريد المعدات وجذب التمويلات طويلة الأمد". وهذه نقطة، تنعكس على العقوبات الغربية المشددة ضد روسيا.

اتجاهات تطور الأنشطة البحرية للاتحاد الروسية تتحدد وفقًا للمصالح الوطنية لدولة الاتحاد الروسي في المحيطات العالمية وأهمية الحفاظ عليها والدفاع عنها

- وفي البنود **"50، 51، 52، 53، 54، و56"**، تشرح الوثيقة مصالح روسيا في المناطق؛ "القطب الشمالي، والمحيط الهادئ، والأطلنطي، وبحر البلطيق، وحوض شرق المتوسط، والبحر الأحمر..."، وتنص العقيدة البحرية الجديدة -إجمالاً- على ضرورة إنشاء نقاط لوجستية للبحرية الروسية في دول منطقة آسيا والمحيط الهادئ من أجل تهيئة الظروف للانتقال بين أساطيل القوات البحرية الروسية. وتشير العقيدة إلى أنه، وبالإضافة إلى قاعدة روسيا البحرية في طرطوس السورية، فإنه سيتم إنشاء قاعدة أخرى مماثلة في عدد من البلدان المطلة على البحر الأبيض المتوسط. بحيث تسعى الوثيقة إلى تأسيس وجود دائم لقواتها البحرية في البحر الأبيض المتوسط. وعلى هذا الأساس، تنص الوثيقة على تطوير العلاقات مع دول الشرق الأوسط وشمال أفريقيا ذات البحار المجاورة والمساحات البحرية، بما في ذلك البحر الأحمر والبحر الأبيض المتوسط. كما تخطط روسيا لإنشاء قواعد بحرية في البحر الأحمر والمحيط الهندي. وتعتبر الوثيقة أنه من ضمن أولويات السياسة البحرية للاتحاد الروسي، الحفاظ على تواجد دائم في الخليج العربي والبحر الأحمر والمحيط الهندي. وتنص الوثيقة على "استخدام البنية التحتية لدول المنطقة لصالح الأنشطة البحرية للاتحاد الروسي".

- وتختص **البنود 102 و103**، بشرح كيف يحق لروسيا استخدام القوة للدفاع عن مصالحها في المحيطات البحرية. ووفقًا للوثيقة، فإنه ينبغي على روسيا لأجل تحقيق سياساتها البحرية أن "تستخدم كامل قدراتها من الأدوات السياسية

والاقتصادية والمعلوماتية والعسكرية وغيرها من أدوات سياسة الدولة لأجل تحقيق وحماية مصالحها الوطنية في المحيطات العالمية". ومن منطلق قيام روسيا بتقسيم مصالحها في المحيطات العالمية إلى شقين؛ "الحيوي والهام". وبالتالي، فإن الوثيقة تنص على أنه "في المناطق الحيوية من الاتحاد الروسي، إلى جانب الأدوات السياسية وغيرها، تستخدم القوة العسكرية بالكامل، بما في ذلك الوجود البحري". وتتابع الوثيقة، "إذا لزم الأمر، يتم استخدام القوة العسكرية وفقًا لتشريعات الاتحاد الروسي ومبادئ وقواعد القانون الدولي المعترف بها بوجه عام". أما في المناطق التي تصنف "هامة" لدى الاتحاد الروسي، تقول الوثيقة، "إن روسيا تستخدم في أغلب الأحوال أدواتها السياسية والدبلوماسية والإعلامية وغيرها من الأدوات الغير قسرية". ولكن عندما تستنفذ قدراتها، يمكنها استخدام القوة العسكرية بشكل يتناسب مع الوضع السائد.

رؤية تحليلية

- ليس ثمة شك من أننا نعاصر الآن فترة محورية في مستقبل النظام العالمي برمته؛ إذ أنه سينتج عن الحرب الجارية في أوكرانيا شيء من اثنان: إما انتصار روسيا وتشكيل نظام عالمي جديد متعدد الأقطاب، أو خسارة روسيا وبقاء النظام العالمي الجديد لكن مع احتمالات مرتفعة لنشوب الحرب العالمية الثالثة والتي من المحتمل أن يرافقها صراع نووي. وبالنظر إلى كل ما تقدم، واستنادًا لا لحقائق تطورات الحرب بل إلى السلوك الروسي الحالي. نجد أنفسنا بحاجة للإجابة على سؤال حول الدور الذي تعتزم روسيا أن تلعبه في العالم "متعدد الأقطاب" بصفتها قوى عظمى.

- وللرد على ذلك، نتذكر أن الأمريكيون قبل أن تصبح بلادهم قوة عظمى، لطالما شكوا من جرائم الاستعمار البريطاني على أراضيهم والذي كان يمتص مواردهم ويستغلهم لسنوات. ولكن فيما بعد، تحديدا بمجرد أن تحولت الولايات المتحدة إلى قوة عظمى، أصبحت اليد التي كانت تعاني هي نفسها اليد التي تمتد لتقتحم خصوصية الغير وتغتصب مقدراتهم بالقوة. وانتقالاً للحظة الراهنة، أو بمعنى آخر، بالنظر إلى حالة روسيا التي تشن حربًا لأجل تحقيق العدالة العالمية والقضاء على النظام الغربي الذي يفرض قيمه على الغير إما بحكم القوة أو بالابتزاز. نجد أن موسكو أيضًا، تضع اليوم وثيقة، تعلن من خلالها أن حدود روسيا ستكون مرتبطة بكل مكان يتواجد فيه مصالح استراتيجية لأي شعب يسكن في أي أرض. وستعتبر موسكو أن كل من يعرقل حصولها على هذه المصالح بصفته تهديد من المتاح التعامل معه باستخدام القوة العسكرية. بغض النظر عن الهوية الجغرافية لهذا المكان، وبغض النظر عن إرادة أصحابه الأصليين.

- وإذا كان في مقدور أي متابع أن يتفهم الدوافع الروسية التي آلت بها في نهاية المطاف لغزو أوكرانيا ومعاداة الغرب وتصعيد التنافس مع الولايات المتحدة الأمريكية. فكيف إذا سيكون في مقدور أي شخص أن يتفهم رغبة روسيا التوغل في النفوذ بمناطق البحر الأحمر والمتوسط والمناطق التي تحتوي على مضائق مائية تمثل أهمية محورية في طرق النقل العالمية؟! وكيف سيكون من الممكن تفسير عبارة "استخدام البنية التحتية لدول المنطقة لصالح الأنشطة البحرية للاتحاد الروسي؟". وكيف من الممكن أيضًا تفهم النصوص التي وردت في الوثيقة بخصوص المصالح الروسية التي ستهتم دائما بالمناطق التي تؤثر على رفاهية سكانها؟! بدون الاعتداد برفاهية أهل البلد التي توفرت لديها ثروات بحرية بشكلٍ أو بآخر؟!

> **يمثل المسار الأمريكي نحو تحقيق الهيمنة في المحيطات ونمو أنشطة الناتو تهديد رئيسي للاتحاد الروسي**

- هنالك أيضًا، سوريا ووضع الجمهورية العربية السورية، التي ظهرت في الوثيقة كأنها جزء لا يتجزأ من الأراضي الروسية –المبهمة الحدود- وهو شيء يعيد إلى الأذهان أن روسيا تدخلت في مجرى الحرب الروسية في المقام الأول بـ 2015 لمساندة النظام ومحاربة التنظيمات الإرهابية. لكنها الآن باتت تضع قاعدتها في طرطوس بوصفها المركز اللوجيستي الأساسي التابع للبحرية الروسية والواجب الدفاع عنه وحمايته باستخدام القوة، إن لزم الأمر! بدون الإتيان على أدنى ذكر لإمكانية خروج روسيا من سوريا بمجرد تحقيق مهمتها المزعومة والقضاء على الإرهاب!

وختامًا، نجد أن الدعاية الروسية الحالية في مجملها سواءً فيما يخص هذا الحدث موضع النظر أو غيره حول التأكيد على حقيقة أن روسيا قامت بتعديل أوضاعها من قوة إقليمية فاعلة إلى قوة عظمى. وتصريح "بوتين" حول أن الوثيقة ترسم بشكل علني حدود البلاد، يعتبر تصريحًا ينقل مستوى مخاوف الغرب من المواجهة مع روسيا إلى خطوط تتجاوز قارة أوروبا ومناطق النفوذ الروسي المعتادة إلى حدود هلامية تشتمل على العالم أجمع. ونستخلص من ذلك، أن الدول في مسارات تطورها، تظل تشكو وتعاني من القيم المفروضة عليها بالإجبار حتى تتحول هي بدورها إلى دول عظمى تسعى لفرض قيمها بالقوة على الآخرون، وفي الحالة الراهنة، لا تريد روسيا فرض قيمها بالقوة، لكنها تريد فرض مصالحها بالقوة على الجميع.